

# فتاوی الحج

وسيئل وفقه الله تعالى للحق: ما حكم الحج إلى بيت الله الحرام وما الوعيد" الشديد المترتب على من تركه وهو قادر عليه ومستطيع له ؟ . فأجاب: الحج كما هو معلوم ركن من أركان الإسلام ، وقد ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: { يُبَيِّنُ الإِسْلَامَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةً أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصُومَ رَمَضَانَ، وَحجَّ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ } وفي حديث جبريل المشهور لما سأله النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام فقال: { أَن تَشَهَّدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتَؤْتَيِ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحْجُجَ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتُ إِلَيْهِ سَبِيلًا } .

يتبين لنا من هذه الأحاديث أن الحج من جملة الإسلام وهو أحد أركانه العظام. وأركان الإسلام هي دعائمه وأسسها التي يقوم عليها ويتمكن منها، فمن أخل بركن من هذه الأركان فقد اختل إسلامه ؛ فالبناء إذا انهم أحد أركانه يعني أحد جوانبه فإنه لا يُستَقِعُ به، بخلاف إذا ما تمت حيطانه وجوانبه وزواياه، فكذلك الإسلام إذا اختل منه ركن من هذه الأركان فإنه يكون غير كامل ويكون دين المسلم فيه نقص، هذا معنى كونه ركنا من أركان الإسلام. ولكن الحج يجب بشروط ، ذكرها العلماء في كتبهم، فمن أراد معرفتها فإنه يُرجح إليها في مواضعها. أما من ترك الحج وهو قادر عليه ومستطاعه لأدائه واكتملت فيه الشروط، فإنه على خطر عظيم ، لما ورد من الوعيد الشديد على تركه ، وقبل الحديث عن الوعيد في تركه ، نذكر ما ورد في الحديث على المبادرة إلى الحج . لقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحث على المبادرة إلى الحج، فمن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- { بادروا بالحج والعمرة فإن الراحلة قد تضل والنفقة قد تذهب والرجل قد يمرض } أو كما قال عليه الصلاة والسلام، انظر شرح الزركشي على مختصر الخرقى (42-3) والتتعليق عليه. ففي هذا الحديث حيث منه عليه الصلاة والسلام على المبادرة إلى أداء هذا الركن العظيم، والمبادرة معناها : الإسراع ، وهذا من أدلة وجوب الحج على الفور. كما أن أوامر الله تعالى يجب الإسراع بها، لما علل به في الحديث السابق من خوف العوائق والعواقب التي تعرض للإنسان، فإنه لا يدرى متى تعرض له. فعلى المسلم أن يبادر بأداء الأوامر والطاعات وهو في حال صحته واستطاعته قبل أن يندم، ولات حين مندم. ثم إن الله تعالى إنما أوجبه مرة في العمر، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: { أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَهُوَ طَوْعٌ } . فمن حكمة الله ومن رحمته بعياده أنه ما أوجب الحج إلا مرة واحدة وجبت لها استطاعتم، الحج مرة، فما زاد فهو طوع . ومن حكمة الله ومن رحمته بعياده أنه ما أوجب الحج إلا مرة واحدة في العمر على الفور، لمن استطاعه، ولا يتم الدين إلا به وما زاد فهو طوع. ونعود للحديث عن الوعيد المترتب على من تركه، فقد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال: { لَقَدْ هَمَّتْ أَنْ أَبْعَثَ إِلَى بَعْضِ الْبَلَادِ، فَمَنْ وَجَدَهُ فَادْرَا عَلَى الْحَجَّ فَلَمْ يَحْجُ أَصْحَابُهُمْ الْجَزِيرَةَ مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ } أو كما في الأثر. ورُوِيَّ أن علياً قال: { مَنْ قَدَرَ عَلَى الْحَجَّ فَلَمْ يَحْجُ فَلَمْ يَلِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَهُودِيًّا أَوْ نَصَارَىً } . ولعل هذا صدر على سبيل التهديد والوعيد، أو لعله فيمن تركه مع القدرة عليه زُهْداً فيه ورغبةً عنه، أو عدم اهتمام بهذا الركن، أو تساهلاً وتهاوناً به، أو انكاراً لشرعيته، أو للحكم التي تترتب عليه، أو نحو ذلك، ولا شك أن هذا انتقاد للإسلام. وقد كان الحج إلى بيت الله العتيق قدماً قبل الإسلام، فقد رُوي أن الأنبياء قد حجوا هذا البيت وقد روي في ذلك آثار وأحاديث، وكذلك رُوِيَ أن الملائكة طافت به قبل أن يخلق آدم والله تعالى قد أمرَ إِبْرَاهِيمَ بِنَبْنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ وَأَمْرَهُ بِالنَّدَاءِ إِلَيْهِ بِقُولِهِ تَعَالَى: { وَادْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ قَبْلَةٍ عَمِيقٍ } (سورة الحج ، الآية:27) وظاهر ندائه أنه كما روي في بعض الآثار: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحَجُوْا } فدلل هذا على أن الحج واجب، فقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمْ أَيْ: فرض عليكم، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَّامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } (سورة البقرة ، الآية:183) أي: فرض عليكم الصيام. فإذا عرفنا أن الحج أحد أركان الإسلام، وأن الله تعالى أتم به الدين، وعرفنا أنه لازم وواجب، فعلى كل مسلم إذا تمت فيه الشروط المعروفة أن يأتي لهذا البيت المعمظ ملبياً نداء الله إليه، فإن من تركه تهاوناً فإنه متعرض للوعيد الشديد؛ بينما وقد فرضه النبي عليه الصلاة والسلام وبيته وأتمه، وقال للناس لما وقف بهم في المشاعر: { خذوا عني مناسككم } ولما وقف بعرفة أنزل الله عليه: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا } (سورة المائد़ة ، الآية:3) أي: في ذلك اليوم الذي تمت فيه المناسب والمتشاور وتمنت فيه أركان الإسلام، وكان به تمام الدين وكماله، وفيه إتمام لسنة الله عز وجل ورضاه بأن يكون الإسلام دينهم، فهذا كله دليل على أن الحج فرض وواجب. ومن الأدلة على فرضيته عموم أقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله في التأكيد عليه وبيان فضائله وأنه خاتمة الشرائع، وأن من أتى به كان ذلك من تمام إسلامه ، ومن لم يأت به كان إسلامه ناقصا. نسأل الله أن يجعل لنا منه حطا ونصيبا، وأن يجعلنا من المقبولين والمغفور لهم، إنه على كل شيء قادر.